ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

لماذا يصبح القتال الخيار الوحيد أمام المقاومة في مواجهة مشروع الإبادة الصهيوني؟

محمد الأيوبي

في اللحظة التي يعلن فيها قادة «إسرائيل» صراحة نيتهم السيطرة على مدينة غزّة، كمرحلة في خطة أشمل لاحتلال القطاع، لا يبقى أمام الشعب الفلسطيني أي مجال للمناورة السياسية أو التفاوضية. يصبح القتال، ببساطة، الخيار الوحيد. ليس لأن الفلسطينيين يعشقون الحرب، بل لأن مشروع الإبادة الصهيوني لا يترك لهم أي بديل آخر.

لفهم هذه الحقيقة لا بد من النظر إلى ما وراء مشاهد الحرب اليومية: الدمار، الحصار، المذابح. فالمسألة ليست مجرد عملية عسكرية، بل هي استمرار متّسق لسياسة استعمارية استيطانية عمرها أكثر من قرن، تحظى منذ نشأتها بدعم غير مشروط من الولايات المتحدة والغرب الإمبريالي.

الإبادة كخيار سياسي

إن ما نشهده في غزّة ليس حادثًا عابرًا أو نتيجة ظرفية، بل هو ترجمة حرفية لمشروع استيطاني يعتبر الأرض الفلسطينية فضاءً يجب «تطهيره» من سكانه الأصليين. الإبادة ليست انحرافًا عن المسار «الديمقراطي الإسرائيلي»، بل هي في صميم بنيته: تهجير، محو، اقتلاع، ثمّ إعادة صياغة الواقع على أنقاض الفلسطينيين.

حين تعلن القيادة «العسكرية الإسرائيلية» أن هدفها هو «تدمير حماس» و«نزع سلاح غزّة» و«ضمان ألا تشكّل تهديدًا لإسرائيل»، فالمقصود ليس فقط الفصيل السياسي أو العسكري، بل البيئة الاجتماعية التي تُمكّن المقاومة من البقاء. بكلمات أخرى: المطلوب هو سحق مجتمع بأكمله حتّى لا يبقى فيه ما يمكن أن يولّد مقاومة مستقبلية.

وهذا ليس جديدًا. فمنذ النكبة عام ١٩٤٨، تعاملت المؤسسة الصهيونية مع الفلسطينيين كـ«مشكلة ديموغرافية»، أي كجماعة بشرية زائدة يجب التخلص منها. في الضفّة، وفي غزّة، وفي الداخل الفلسطيني المحتل، تتجلى هذه السياسة عبر هدم البيوت، ومصادرة الأرض، والقتل الممنهج، وتجريم أي شكل من أشكال الاحتجاج أو التنظيم السياسي.

الدعم الإمبريالي: القناع الأخلاقي للقتل

هنا يأتي دور الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين. فمن دون المظلة العسكرية والسياسية والمالية الأميركية، ما كان «لإسرائيل» أن تستمر في مشروعها. الدعم لا يقتصر على مليارات الدولارات من المساعدات العسكرية، بل يتعداه إلى تأمين الحصانة الدبلوماسية: منع أي مساءلة في مجلس الأمن، حماية من العقوبات، تسويق رواية دعائية تعتبر العدوان «دفاعًا عن النفس».

هذه البنية الإمبريالية تمنح «إسرائيل» حرية استخدام القوّة بلا حساب، وتُحوّل الضحايا إلى جناة. فحين يقتل الاحتلال آلاف الأطفال في غزّة، يُطلب من الفلسطينيين «إدانة الإرهاب» بدل إدانة الإبادة. وحين يُحاصر مليونَا إنسان حتّى المجاعة، يُوصف ذلك بأنه «ضغط مشروع على حماس».

إن وظيفة هذا الخطاب ليست فقط تبرير الجريمة، بل تجريم أي محاولة لمقاومتها. ومن هنا يصبح القتال الفلسطيني غير مقبول لا لأنه «عنيف»، بل لأنه يفضح حقيقة المشروع: أن «إسرائيل» ليست دولة طبيعية في نزاع حدودي، بل قاعدة استعمارية عنصرية لا يمكن أن تعيش إلا بالقوّة.

لماذا القتال وحده؟

في مواجهة هذا السياق، لا يبقى أمام الفلسطينيين سوى المقاومة المسلحة. فالمفاوضات جُرّبت على مدى ثلاثة عقود منذ اتفاق أوسلو، والنتيجة كانت مزيدًا من الاستيطان والجدران والحصار. المجتمع الدولي لم يقدّم شيئًا سوى بيانات القلق، والأنظمة العربية الرسمية، من المحيط إلى الخليج (الفارسي) ، إما انخرطت في التطبيع أو آثرت الصمت.

إذًا، ما البديل الواقعي أمام شعب محاصر؟ الاستسلام؟ هذا يعني القبول بالترحيل الجماعي أو الموت جوعًا تحت الحصار. الهجرة؟ هذه هي الغاية «الإسرائيلية» نفسها: إفراغ غزّة وتحويلها إلى أرض بلا شعب. القبول بالهيمنة «الإسرائيلية»؟ ذلك لن يوقف آلة القتل، بل سيحوّل الفلسطينيين إلى عبيد في وطنهم.

هنا يصبح القتال، رغم كلفته الباهظة، أداة دفاع عن الوجود ذاته. ليس خيارًا بين الحرب والسلام، بل بين المقاومة أو الزوال.

الاستنزاف كاستراتيجية

المقاومة الفلسطينية ليست جيشًا نظاميًا يملك أسلحة متطورة، لكنّها تملك ما لا يملكه الاحتلال: إرادة البقاء على أرضها. إستراتيجيتها تقوم على استنزاف الخصم، وكسب الوقت، وتحويل الاحتلال إلى عبء سياسي واقتصادي وأخلاقي على «إسرائيل» نفسها.

وقد بدأت ملامح هذا الاستنزاف بالظهور. فبعد شهور طويلة من القصف والتدمير، لم تحقق «إسرائيل» أيًّا من أهدافها المعلنة: حماس لم تُهزم، الأسرى لم يُحرروا، الردع لم يُستعد. بالعكس، ازداد الانقسام الداخلي «الإسرائيلي»، انهار الاقتصاد جزئيًّا، وتعمّقت عزلة الكيان دوليًّا. حتّى حلفاؤه الغربيون بدأوا يواجهون احتجاجات داخلية متصاعدة تطالب بوقف دعمه.

الانتحار «الإسرائيلي»

هنا تكمن المفارقة: «إسرائيل»، وهي تمضي قدُمًا في مشروع الإبادة، تدفع نفسها نحو مسار انتحاري. فكلما صعّدت من وحشيتها، زاد فقدانها لشرعيتها، وكلما توسعت في تدمير غزّة، زادت قدرتها على استثارة مقاومة أكثر مرونة وتجذرًا.

إن مشروع الاستيطان، بطبيعته، لا يعرف التوازن ولا التسويات. لذلك لا يتّجه إلا نحو نقطة الانفجار: إما القضاء على الشعب الأصلي بالكامل (وهو ما أثبت التاريخ استحالته)، أو انهيار المشروع نفسه تحت وطأة تناقضاته الداخلية وضغوطه الخارجية.

الدرس الأوسع

القضية الفلسطينية هنا تقدم درسًا يتجاوز حدودها: إن الاستعمار الاستيطاني، حين يفشل في إخضاع الشعوب، يلجأ إلى الإبادة. لكن هذا الخيار، بدلًا من أن يضمن له البقاء، يفتح الباب لانكشافه وسقوط أقنعته الأخلاقية.

لقد حاولت «إسرائيل» طوال عقود أن تقدم نفسها كـ«واحة ديمقراطية» في الشرق الأوسط، لكن غزّة فضحت هذا الزيف. لم يعد من الممكن إخفاء صور المقابر الجماعية والمجاعة المنظمة تحت شعارات «الحرب على الإرهاب». العالم يشهد، يومًا بعد يوم، أن ما يحدث هو جريمة ممنهجة لإبادة شعب أعزل.

لهذا يصبح القتال الفلسطيني، مهما حاولت المنظومة الإعلامية الغربية تشويهه، فعلًا دفاعيًّا بامتياز. إنه دفاع عن الحق في الوجود ضدّ مشروع يهدف إلى المحو. وحين يُسأل لماذا يقاتل الفلسطينيون، تكون الإجابة واضحة: لأنهم يرفضون أن يكونوا الضحية الصامتة في كتاب الإبادة الصهيوني.

ولذلك، فإن كلّ رصاصة يطلقها المقاوم، كلّ نفق يُحفر، كلّ محاولة للبقاء في الأرض، ليست مجرد فعل عسكري، بل إعلان صريح: «لن نُباد».

إنها معركة غير متكافئة، لكنّها أيضًا معركة تكشف زيف النظام الدولي، وتضع «إسرائيل» وحُماتها أمام حقيقتهم: أنهم يقاتلون لا ضدّ «الإرهاب»، بل ضدّ الحق في الحياة. ومن هنا، يصبح القتال الفلسطيني ليس خيارًا أخلاقيًا فقط، بل الخيار الوحيد الممكن في مواجهة مشروع الإبادة.

أوروبا مهزومة ذليلة

– لولا الأصوات الحرة التي يضجّ بها الشارع الأوروبيّ دفاعاً عن فلسطين، ويضغط بها على حكوماته لتظهر بعض الشرف والكرامة، لكانت أوروبا غير موجودة على خريطة العالم، كما قال ساخراً ذات يوم وزير الخارجيّة السوري الراحل وليد المعلم.

– منذ سنوات وأوروبا تسير بعيون مفتوحة نحو حتفها، فقد انخرطت في التصعيد ضد روسيا وتعطيل اتفاقيات مينسك الخاصة بإنهاء النزاع الروسي الأوكراني عمداً، وتطوّعت فرنسا وألمانيا كشريكين في اتفاقية مينسك لإعلان وفاتها واستدراج روسيا إلى الحرب أملا بأن تنجح حزمة العقوبات المتفق عليها مع أميركا، بإسقاط روسيا بالضربة القاضية، ولذلك ظنت أوروبا أن الامتناع عن شراء النفط والغاز من روسيا هو جزء من عناصر الحصار تمهيداً لإسقاط روسيا، ولم تتورّع ألمانيا عن تعطيل خط السيل الشمالي الذي كان قيد التدشين تعبيراً عن الحقد والكيد وأملاً بالسقوط السريع لروسيا.

– دفعت أوروبا ثمن الغاز من أميركا أربعة أضعاف ما كانت تدفع ثمن الغاز الروسيّ، وهجرت المصانع الأوروبية جغرافية القارة العجوز نحو أميركا، وجاءت المكافأة الأميركية بالرسوم الجمركية المهينة التي فرضت على البضائع الأوروبية في اتفاق الإذعان الذي وقّعته المفوضة الأوروبية أورسولا فون دير لاين مع الرئيس الأميركي دونالد ترامب، والآن على أوروبا تمويل ما سوف يُسمّى بحزمة الضمانات التي توفرها أوروبا لأوكرانيا وتمويل إعادة إعمار أوكرانيا، بينما

تتقاسم روسيا وأميركا الثروات المعدنيّة في مناطق أوكرانيا الغنية بها، واحدة في الشرق وثانية في الغرب.

– ما جرى في قمة ألاسكا بين الرئيس الأميركي دونالد ترامب والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وضع أوروبا ومعها أوكرانيا بين خيار قبول الهزيمة في الحرب، والتسليم بالتنازل لروسيا عن الجزء الأهم من أراضي أوكرانيا، أو خيار خوض الحرب من دون أميركا، وقد خرج قادة أوروبا يحتفلون بعد لقاء البيت الأبيض مع ترامب يظهرون شجاعة منقطعة النظير وهم يشيدون بحكمته التي أنهت الحرب.

– ها هي أوروبا مهزومة أمام روسيا ذليلة أمام أميركا، فماذا عساه يكون غدها؟

البناء

خبير في الشؤون الصهيونية

على العالم الإسلامي أن يتخذ موقفا حازما ضد خطة نتنياهو المسماة بـ «إسرائيل الكبرى»

أكد المحلل السياسي اللبناني و الخبير في الشؤون الصهيونية «حسن حجازي»أن العالم الإسلامي يجب أن يتخذ موقفا حازما ضد خطة نتنياهو المسماة بـ»إسرائيل الكبرى".

وفي تصريح خاص لإرنا، قال حجازي حول خطة نتنياهو المسماة بـ «إسرائيل الكبرى»: «تحدث بنيامين نتنياهو بشكل صريح ولم يجد أي حرج في إطلاق مشروعه حول إسرائيل الكبرى أو أرض إسرائيل الكاملة كما يسمونها وذلك نظرا لمجموعة من الظروف المساعدة".

وأضاف: أنه «يعتبر نتنياهو أن الكيان الصهيوني يعيش في خضم صراع مفتوح على الجبهات المختلفة وبالتالي لا خشية في المرحلة الحالية من توسع المواجهة لأنه في خضم هذه المواجهة باستطاعته أن يعبر بشكل صريح عن طبيعة هذا المشروع الذي يجب أن يتوسع في الاتجاهات المختلفة وأن يوجد مساحات آمنة تحب الكيان الصهيوني حتى إن لم يكن بمقدوره يعني أن يملأها بالجنود والعتاد العسكري وما إلى هنالك".

وتابع بالقول: يسعى نتنياهو إلى التاكيد على هذا الجانب من خلال الحضور المباشر أو غير المباشر عبر القوة العسكرية التي يجب أن تكون مسيطرة في هذه الأماكن القريبة وتمنع نشوء التهديدات حول الكيان، هذا جزء من إستراتيجية اليمين التي تذهب في المرحلة الأولى باتجاه طرد الفلسطينيين من أرضهم في كامل فلسطين التاريخي يعني في قطاع غزة وصولا إلى الضفة الغربية وانتهاء بالأراضي المحتلة عام ١٩٤٨.

وقال المحلل اللبناني: هناك خطاب واضح وصريح على هذا المستوى لم نكن نسمعه من قبل، يرى نتنياهو أن هناك ظرف أمريكي مساعد و هو وجود الرئيس الأمريكي «دونالد ترامب»، والذي تحدث سابقا عن أن الكيان الصهيوني هو كيان صغير المساحة ويجب أن نعمل على توسيعه هذه كانت إشارة البدء بأن عملية السيطرة والتوسع وبناء هذا الكيان الذي يجب أن يمتد على مساحات دول مختلفة في المنطقة ليس وليد الصدفة إنما نتيجه مشروع صهيوني يتقاطع مع رؤية استراتيجية أمريكية تقول أن ضمان السيطرة على هذه المنطقة هو اخضاع كل العواصم وكل الدول في المحيط لقوه عسكرية تحظى بكل الدعم الأمريكي وهي القوة الصهيونية بالتالي هناك ظرف إستراتيجي يساعد بنيامين نتنياهوعلى الذهاب في هذا المسار.

وأوضح أنه «الواقع العربي والواقع الإسلامي مع الأسف يساعد على هذا التوجه. يرى الكيان الصهيوني أنه يرتكب مجزرة كبرى بحق الفلسطينيين ويرتكب عمليه إبادة ذهب ضحيتها قرابة ٧٠ ألف شهيد، وتم تدمير قطاع غزة والكيان الصهيوني يتحرك على ساحات مختلفة.

وأضاف، لا نجد موقفا عربيا وإسلاميا قاطعا وحاسما يتحدى ويتصدى لهذا التوجه الإجرامي المنفلت كليا بالنسبة للصهاينة بالتالي أيضا يجد الصهاينة أنفسهم على هذا المستوى بأنهم مطلقو اليد وأنه لا يوجد تحد حقيقي أمامهم وأن هناك خضوع على المستوى العربي والإسلامي بشكل شبه مطلق، يعني لولا تصدى الجمهورية الإسلامية في إيران والمقاومة في لبنان واليمن والعراق وفلسطين لكنا وجدنا واقعا مظلما بالكامل ليس هناك إلا القلة القليل التي تتصدى لهذا المشروع هناك خضوع بل هناك تعاون من بعض الدول العربية والإسلامية التي توفر أسباب البقاء وهي منسجمة تماما مع هذا المشروع من دون أن تعلن عن ذلك لأن ذلك ياتي في إطار إستراتيجية أمريكية هؤلاء جزء منها.

وختم بالقول: يجد الجانب الصهيوني أنه يحظى بظروف وبعوامل مساعدة لطرح مشروعه بهذا الشكل وربما سنجد في المراحل المقبلة وضوحا أكثر و جرأة أكثر في الطرح على هذا المستوى من أجل أن يحكم الكيان الصهيوني سيطرتها على هذه المنطقة في إطار الإستراتيجية الأمريكية الكبرى.

ارنا

نتنياهو وأوهامه الروحية الكبرى!

د. محمد سيد أحمد

خرج علينا هذا الأسبوع وكعادته دائماً ومنذ سنوات رئيس وزراء العدو الصهيوني بنيامين نتنياهو وعبر مقابلة مع قناة ١٤ الصهيونية ليقول إنّه مرتبط جداً برؤية «إسرائيل الكبرى»، ويعتبر نفسه يقوم بمهمة تاريخية وروحية تمتد لأجيال من اليهود الذين حلموا بالمجيء إلى هذه الأرض. وتأتي التصريحات في ظلّ تصاعد العمليات العسكرية الصهيونية في غزة، والتهديد بمهاجمة قطاع غزة بالكامل، رغم المطالب الشعبيّة للمستوطنين الصهاينة بهدنة مؤقتة وعقد صفقة لإطلاق سراح الأسرى. وهنا جاء التحوّل في الخطاب السياسي من أمني إلى ديني - ايديولوجي، يحاول من خلاله تعبئة القاعدة اليمينيّة المتشدّدة وتبرير التوجّه نحو توسيع السيطرة على الأراضي الفلسطينية، بتذكير المستوطنين الصهاينة بتراثهم الديني التاريخي تحت اسم المهمة الروحية والجغرافية، وبذلك يمكنه تصعيد الحملة العسكرية وتجاهل نداءات السلام والإنسانية.

وكردّ فعل على هذه التصريحات عبّرت ٣١ دولة عربية وإسلامية، ومنظّمات مثل الجامعة العربية، ومنظمة التعاون الإسلامي، ومجلس التعاون الخليجي عن غضبها الشديد، معتبرة هذه التصريحات «تهديداً للأمن القوميّ وللسيادة العربية وللشرعية الدولية» والغريب والعجيب حقاً هو ردة الفعل العربية والإسلامية، وكأنّ العرب والمسلمين شعوباً وحكومات كانوا يعيشون في غيبوبة ولم يقرأوا أو يسمعوا تصريحات بنيامين نتنياهو من قبل، رغم أنّ تصريحاته ليست بجديدة وتردّد منذ أواخر القرن التاسع عشر على ألسنة كلّ القادة الصهاينة قبل حتى أن يتمّ تنفيذ مشروعهم الاحتلالي للأرض العربية في فلسطين.

وحتى لا يكون كلامي هنا مرسلاً واتهامات لا دليل عليها أحاول خلال السطور التالية تأكيد فكرتي التي لطالما أكدتها في مقالات عديدة في السنوات الأخيرة، فمنذ نشأة المشروع الصهيوني في أواخر القرن التاسع عشر، لم يكن هدفه مجرد إقامة كيان سياسي لليهود على جزء من أرض فلسطين، بل ارتبط بفكرة أكبر وأوسع هي مشروع «إسرائيل الكبرى» الممتدّ من نهر النيل غرباً إلى نهر الفرات شرقاً، استناداً إلى نصوص توراتية مزعومة، وتأكيدات متكرّرة من قادة الحركة الصهيونية وزعماء كيان الاحتلال عبر التاريخ، هذه الفكرة ليست شعاراً دينياً فحسب، بل تحوّلت إلى عقيدة سياسية واستراتيجية توسعية لا تزال حاضرة في الخطاب السياسي الصهيوني حتى اليوم، وترتكز الفكرة على نص في سفر التكوين (١٥:١٨) يقول: «لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»، وهذا النص اعتبر الحجر الأساس لفكرة الأرض الموعودة، وهو ما جعل «إسرائيل الكبرى» جزءاً من العقيدة الدينية لليهود المتدينين، ثم جرى استغلاله سياسياً من قبل الحركة الصهيونية الحديثة لتبرير التوسع الاستعماري في فلسطين وما حولها.

وجاء أول استخدام للفكرة في كتابات ثيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية في مذكراته عام ١٨٩٧، حيث قال: «حدود الدولة اليهودية تمتدّ من نهر مصر إلى نهر الفرات»، وفي مؤتمر فرساي عام ١٩١٩ أعلن حاييم وايزمان «نحن نطالب بفلسطين كلها، وأرضنا تمتدّ من لبنان شمالاً إلى العقبة جنوباً، ومن المتوسط غرباً إلى الصحراء شرقاً»، وفي عام ١٩٢٧ ذكر دافيد بن غوريون مؤسّس الكيان «أنّ

حدود «إسرائيل» ليست نهائيّة.. إنّ قيام الدولة لن يكون إلا مرحلة من مراحل تحقيق «إسرائيل الكبرى»، وأعلنت غولدا مائير في عام ١٩٦٩ أنّ «هذه الأرض - أرض إسرائيل كاملة - هي لنا، ولم يحدث أن تركناها في يوم من الأيام»، وصرّح أرييل شارون في عام ١٩٨١ أنّ «القدس عاصمة أبدية لـ»إسرائيل»، والحدود الطبيعية لأرض إسرائيل هي من النيل إلى الفرات»، وفي عام ١٩٨٢ أعلن مناحيم بيغن أنّ «أرض إسرائيل ستبقى لنا بكاملها، وهذه حدودنا من الفرات إلى النيل»، وحتى بنيامين نتنياهو ذاته ليست المرة الأولى التي يذكر فيها وهم «إسرائيل الكبرى» حتى ينتفض العرب والمسلمون للتنديد والشجب والإدانة فقد ذكر في كتابه «مكان بين الأمم» الصادر في عام ١٩٩٣ أنّ «إسرائيل هي قلب الأرض الموعودة، ومن هنا تبدأ عودتنا إلى كامل أرض الأجداد»، وفي خطاباته المتكرّرة على مدار العامين الماضيين ومنذ بدء العدوان على غزة بعد عمليّة طوفان الأقصى أكد أكثر من مرة أنّ «إسرائيل» ليست مجرد دولة، بل «تحقيق للوعد الإلهي»، في إشارة واضحة لاستمرار حضور فكرة «إسرائيل الكبرى».

ويتّضح من ذلك أنّ الفكر الصهيونيّ يعتمد على دمج النصوص الدينيّة المزعومة مع مشاريع سياسيّة استعماريّة، ما يجعل «إسرائيل الكبرى» عقيدة مقدّسة في وعي الإسرائيليّين المتديّنين، وعملياً يتحوّل الدين هنا إلى أداة سياسية تستغلّ المشاعر الدينيّة لخدمة التوسّع، فلم يسعَ القادة الصهاينة منذ البداية إلى فرض حدودهم التوراتيّة الوهميّة دفعة واحدة، بل اعتمدوا استراتيجيّة «التوسّع المرحلي"، بدءاً من تثبيت كيان صغير في فلسطين ثم التوسّع كلما سمحت الظروف، والمشروع الصهيوني ارتبط بالاستعمار البريطاني ثم الأميركي، باعتباره أداة جيوسياسيّة للهيمنة على الشرق الأوسط الغنيّ بالموارد، لذلك يجب على الشعوب والحكام العرب والمسلمين الذين فوجئوا بتصريحات نتنياهو وأوهامه الروحيّة أن يدركوا أن فكرة «إسرائيل الكبرى» من النيل إلى الفرات لم تكن شعاراً عابراً، بل مشروعاً متأصلاً في الفكر الصهيوني منذ هرتزل وحتى نتنياهو، تارة تُطرح علناً عبر تصريحات رسمية، وتارة تُخفى تحت ذرائع الأمن والسلام، لكنها تظل البوصلة العقائدية للحركة الصهيونية، لذلك فعلى الجميع أن يتحرّك ويتصرّف في ضوء أنّ الصراع مع العدو الصهيوني ليس صراع حدود فقط، بل هو صراع وجود مع مشروع توسعيّ عقائديّ، يهدف إلى ابتلاع المنطقة بأكملها تحت مسمّى «الوعد الإلهي»، نقول ذلك قبل أن تتحوّل أوهام نتنياهو الروحيّة الكبرى لواقع ملموس، اللهم بلغت اللهم فاشهد...